مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 05 بتاريخ 2021/06/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الاتجاه الإنساني في الحكم النثرية في العصر الجاهلي

رشا العمايرة

مدرسة لغة عربية في مدرسة الدرة الشريفة/ الأردن، وطالبة في برنامج ماجستير اللغة العربية وآدابها، جامعة الإسراء/ الأردن.

rasha78amayrha@gmail.con

أ.د. هاشم صالح منَّاع

أستاذ الدراسات العليا في النقد والأدب عميد كلية الآداب سابقاً، جامعة الإسراء/ الأردن.

hashim.manna@iu.edu.jo

تاريخ الإيداع: 2021/04/18 م تاريخ التحكيم: 2021/04/28م تاريخ النشر: 2021/06/15م

الملخص بالعربية:

هذه دراسة تتناول تعريف الحكمة، وشروطها، وخصائصها, وروادها، وترصد ذيوعها في النثر الجاهلي التي نتجت عن المشاهدات، والملحوظات، والمراقبات، والخبرات، والتجارب، والتأمل في الحياة، وكان من أهم أهدافها رصد الواقع، والتعبير عن سلوكيات الناس في العصر الجاهلي، ثم يعرض أهم الموضوعات التي تناولتها الحكمة، لا سيما ما كان منها شائعاً في ذلك العصر، ثم يبين البحث الصياغة الأسلوبية لهذه الحكم، وما تتميز به من غيرها، ثم يقف على بعض القضايا البلاغية، لا سيما الاستعارة التمثيلة؛ لأنها قائمة على مثل هذه الحكم، وما دخل في بابها عبر العصور، وينتهي البحث بنتائج تبين أهم ما توصل إليه، مردوفة بالهوامش، وبأهم المصادر والمراجع التي اعتمدها البحث.

وقد سار البحث وفق المنهج الوصفي التحليلي الذي اعتمد النصوص النثرية المتمثلة في فن الحكمة؛ لتكون أساس البحث.

الكلمات المفتاحية: الاتجاه الإنساني، الحكم النثرية، العصر الجاهلية.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

Human Directions in the Prose Epigrams of Pre-Islamic Period

By: Rasha al Amayreh
M.A. student, Department of Arabic language and literature, Isra University, Jordan.
rasha78amayrha@gmail.con
Prof. Hashim Salih Manna
Dr. Hashim S. Manna, Professor of Postgraduate Studies in Criticism and Literature, Ex-Dean of the College of Arts, Isra University, Jordan.
hashim.manna@iu.edu.jo

Abstract :

This research deals with the definition of epigram, its conditions, characteristics and its matrons. It explores how it developed in the prose writings of that age out of observations, descriptions, experiences and life meditations. It shows the aims of using epigrams which was the depiction of real world and human behaviour. Then, the research shows the important topics covered by the epigrams, especially the most common at the age. It also discusses the stylistic and other distinguished forms of the epigrams. Some rhetorical issues, like the metaphors and any later influences, are also discussed. The research concludes with a listing of the main findings followed by the references and resources used throughout.

The research follows the descriptive, analytic method and uses the prose epigrammatic works as the basis of study.

Keywords: (Human Directions), (Prose Epigrams), (Pre-Islamic Period).

الاتجاه الإنساني في الحكم النثرية في العصر الجاهلي

تعدّ الحكمة من الموضوعات المهمة التي شاعت في العصر الجاهلي، لا سيما في النثر، وفي الخطابة والوصايا على وجه الخصوص، ذلك أنها كانت تصدر عن خطباء مفلقين مفوهين، تمرسوا بخطبهم، وتعودوا على خطابتهم، وأكثروا من حكمهم التي كانت تأخذ بمجامع القلوب، وتُحدث في النفوس ما يُحدثه السحر، يأخذون بها، ويطبقونها، ويتمثلونها؛ لما تحمله من دلالات عميقة.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

مشكلة البحث وفرضيته:

يؤمن الباحثان أن مشكلة البحث تكمن في عدم وجود دراسات سابقة معمقة، تبين الاتجاه الإنساني في الحكم النثرية في العصر الجاهلي، إلا من بعض الإشارات نجدها في ثنايا الكتب والبحوث، ولذلك جاءت هذه الدراسة؛ لتبرز نتائج مهمة حول هذا الموضوع؛ لعلها تنبه لأهميته، وتفتح مجالاً أمام الباحثين؛ للقيام بأبحاث أخرى ذات صلة.

أسباب الدراسة ودوافعها:

تقوم هذه الدراسة حول الاتجاه الإنساني في الحكم النثرية في العصر الجاهلي، ولعل الدافع الأساس وراء كتابة هذا البحث يتمثل في أهميته، وفائدته، إذ ظهر هذا من خلال دراسة مستفيضة تم إعدادها حول الاتجاه الإنساني في النثر الجاهلي، فقد تبين أن الخطابة والوصايا قد شاعت في ثناياها الحكمة التي تحضّ على التمسك بالأخلاق والقيم النبيلة، وتحاول أن تبني مجتمعاً تسوده: المحبة، والإخاء، والفضيلة، ويشيع فيه المعاني الإنسانية.

الدراسات السابقة:

هناك دراسات تناولت الأدب الجاهلي، ولكنها لم تفرد باباً خاصاً للاتجاه الإنساني في الحكم النثرية الجاهلية، ومن تلك الدراسات:

1) ضيف، شوقي (1971)، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، ط6، القاهرة.
2) تناول هذا الكتاب مذاهب الصنعة والتصنيع والتصنع، وقد فسر الفن في النثر العربي ومراحله المتعاقبة على أساسها، عبر العصور الأدبية، أما دراستنا؛ فتميزت بأنها وقفت فقط على الاتجاه الإنساني نصوص الحكم في النثر الجاهلي.
3) قميحة، مفيد محمد (١٩٨١)، الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، دار الافاق الجديدة، بيروت.
4) تناول هذا الكتاب ملامح النزعة الإنسانية وعوامل اتساع دائرتها في الشعر العربي المعاصر، كما تناول موضوعاتها، ثم عرض لأهم سمات القصيدة المعاصرة، وتناول أيضاً استشراف مستقبل الشعر العربي.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

ويتميز بحثنا من هذا الدراسة أننا تناولنا النثر، والحكم فيه على وجه الخصوص، في الوقت الذي لم يتناول ذاك البحث شيئاً من النثر في العصر الجاهلي.

5) مناع، هاشم صالح (1993)، النثر في العصر الجاهلي, دار الفكر العربي، ط1 بيروت.

تناول هذا الكتاب النثر في العصر الجاهلي، وتحليل بعض النصوص على اختلاف موضوعاتها، بما فيها الحكم، أما دراستنا فتتميز منه بأنها تناولت الاتجاه الإنساني في الحكم في النثر الجاهلي لا غيره.

منهج الدراسة:

اتبع هذه الدراسة المنهج الوصفي، والتحليلي المبني على النصوص النثرية التي وردت في الحكمة.

أهمية الدراسة:

تظهر أهمية الدراسة من خلال ما سيقوم به الباحثان به من عرض، وتحليل للحِكَم النثرية في العصر الجاهلي، ومن ثم إثبات النتائج التي توضح هذه الأهمية، وتبيّن فائدة الدراسة.

مباحث الدراسة:

ستتركز الدراسة على المباحث الآتية:

المبحث الأول: الحكمة: مفهومها، خصاصها، وسماتها، روادها في العصر الجاهلي.

المبحث الثاني: الاتجاه الإنساني في موضوعات الحكم النثرية في العصر الجاهلي.

المبحث الثالث: الخصائص الفنية للحكم النثرية في العصر الجاهلي.

الخاتمة والنتائج والمصادر والمراجع.

المبحث الأول: الحكمة: مفهومها، خصاصها، وسماتها، روادها في العصر الجاهلي.

الحُكْمُ لغة: العلم والفقه والقضاء العدل, وهو مصدر (حَكَمَ يَحْكُمُ), وأصله: المنع, يقال: حَكَمْتُ عليه بكذا, إذا منعته من خلافه، ومنه اشتقاق (الحكمة)؛ لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الأرذال، وهذا معنى بلا شك هو الذي يوضح دلالة المعنى، ويحقق هدف الحكمة(1)، والحكمة: "هي معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم, ويقال: لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم, وهو: ذو حكمة، أي: عالم، والحُكْمُ والحكمة من العلم(2)، وقد ورد في الحديث الشريف: "... وإن من الشعر

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

حِكَماً"، ويروى: " لَحِكْمَة"(3), أي: كلاماً نافعاً يمنع من الجهل والسفه, وينهى عنهما. ويقال: أراد بها المواعظ والأمثال التي ينتفع الناس بها"(4).

أما الحكمة كما عُرفت اصطلاحاً، فهي: "قول بليغ موجز يحاول سَنَّ نظم خلقية يتبعها الناس فيما يرضونه من خصال وسلوك, أو ما ينكرونه من أفعال وعادات, تصاغ في بيت شعر، أو مثل, أو عبارة أنيقة موجزة غزيرة المعنى, ذات دلالات بعيدة"(5), والحكمة "تؤدي ما يؤديه المثل, إلا أنها لم تشع في الجمهور, ولم تجر إلا بين الخواص, وليس بينها وبين المثل إلا الشيوع وحده", هذا ما يقوله السيوطي(6)، بمعنى أنها إذا شاعت على الألسن صارت مثلاً، ولكن السيوطي لم يحدد الشروط الواجبة في تحولها، ويرى الدكتور هاشم مناع، أنه لا بدَّ من توافر شروط في كل منهما؛ ليتميزا من بعضهما بعضاً, من ذلك أن الحكمة لا يشترط فيها أن ترتبط بحادثة، أو مناسبة, بينما المثل لا بدَّ من ارتباطه بذلك, ثم إن الحكمة تسمو في معانيها، ولا تهبط في لفظها, وتهدف إلى توجيه النفس الإنسانية إلى الرقي والسمو والكمال, وتدعوها إلى الفضيلة والمحمدة والشيمة، وكذلك إلى المنفعة والمصلحة والفائدة, وتنهاها عن الجهل والاضطراب والفساد، أو الوقوع في الخطأ، أو الزلل، أو الغلط, وليس هذا من هدف المثَل الذي قد ينحطّ في لفظه, ويسفّ، ولا يدعو إلى الفضيلة والخلق الحسن، كما أن الحكمة يشترط فيها أن يسلِّم بها الجميع؛ لأنها تدعو إلى الأخلاق، وتنهى عن الرذائل(7)، كما أنها تصلح لكل زمان ومكان؛ لأنها تدعو إلى الفضيلة كما بيّنا.

وقد حاول الباحثان تلمس الفروق بين الحكمة والمثل في المصادر القديمة، ولم يفلحا في ذلك؛ ويبدو أنها اهتمت بتناول المثل والأمثال، متجاهلة تسمية الحكمة والحكم، مع أنها أوردت بعضها في تلك المصادر، ولعلنا نجد المسوّغ لها في ذلك؛ لأنه – على ما يبدو- سارت بمفهوم السيوطي نفسه الذي أشرنا إليه آنفاً، مفاده أنه لا فرق بين الحكمة والمثل إلا الشيوع، وعدّوا الحكم شائعة؛ ولذلك أدخلت في باب المثل، وهذا يبعث على الظن أن الحكمة لدى العلماء القدامى أقوى من الحكمة في التمثل والتمثيل، وفي الشيوع بين الناس، ولذلك لم تذكر لفظة الحكمة في عناوين المصادر الكثيرة التي ألفت في هذا المجال، مجال الحكمة والمثل... وهذا يعني أن المثل أخذ نصيبه من الدراسة والبحث أكثر من الحكمة.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

ولا يمكن أن تكون شروط الحكمة هي نفسها، شروط المثل؛ لأن كلاً منهما له شروطه وخصائصه، وسماته، ونحن غير معنيين في هذا البحث بالوقوف على المثل بالتفصيل، وما يتصل به من خصائص ومميزات، فهذا البحث يتناول الحكمة التي تتمثل في: "أن تَرْضَى العامة والخاصة بها, في لفظها ومعناها, يتناقلونها فيما بينهم, ويتفوهون بها في السراء والضراء... وهي تتناول أخلاق الأمة, وتفكيرها, وعقليتها, وعاداتها, وحضارتها, وتقدمها, فبالحكم كانت تعارض كلامها, فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق بكناية غير تصريح(8).

ولما كانت الحكمة تتجه اتجاهاً أخلاقياً، وتدعو إلى الفضيلة؛ لبناء مجتمع تسوده القيم النبيلة، والمثل العليا، فإنها لا تقتصر على موضوع دون آخر، فقد تناولت كل الموضوعات التي تَهم المجتمع، ويتعامل بها، والحكمة لا شك أنها تمثل القيم الاجتماعية والتربوية والعقلية والتاريخية؛ ذلك أنها تعبر عن بيئة المجتمع في كل اتجاهاته، وبيئاته وأخلاقه، لا سيما فيما يتعلق بتصرفات الفرد تجاه الآخرين، وعلاقاته بمجتمعه، فالحكمة تتمثل فضيلتها في متصرفاتها, وحسن واقعها في جهاتها(9)، يقول أبو هلال العسكري: "إني ما رأيت حاجة الشريف إلى شيء من أدب اللسان بعد سلامته من اللحن, كحاجته إلى الشاهد والحكمة والمثل والكلمة السائرة، فإن ذلك يزيد المنطق تفخيماً, ويُكسبه قَبولاً, ويجعل له قدراً في النفوس, وحلاوةً في الصدور, ويدعو القلوبَ إلى وعيه, ويبعثها على حفظه, ويأخذها باستعداده لأوقات المذاكرة, والاستظهار به أوان المحاولة في ميادين المجادلة, والمصاولة في حلبات المقاولة, وإنما هو في الكلام كالتفصيل في العِقد, والتنوير في الروض, فينبغي أن يُستكثر من أنواعه؛ لأن الإقلال منها كاسمه إقلال، والتقصير في التماسه قصور, وما كان منه مثلاً سائراً فمعرفته ألزم؛ لأن منفعته أعم, والجهل به أقبح"(10).

ويتضح لنا مما ذكره العسكري آنفاً أن الحكمة ضرورة؛ لأنها تصدر عن تجربة، وخبرة تقدّم للمجتمع عِبَراً ومواعظ، وتدعو إلى التمسك بالأخلاق النبيلة؛ لبناء مجتمع صالح، وتوريث الأبناء القيم النبيلة، والأخلاق الحميدة، حتى لا يسود المجتمع فساد، أو رذيلة، ومن المهام الأساسية للحكمة كما بيّنا حرصها على قضيتين أساسيتين، الأولى: وضع المجتمع على جادة الصواب، تسوده والأخرى: نهيه عن الانحراف والسفاهة والضلال، وتطهيره من الفساد.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

ولما كانت هذه الحكمة تؤدي كل هذه المعاني، فإنه جدير بها أن تتميز بمجموعة من الخصائص، تميزها من غيرها من فنون القول الأخرى، ويتمثل هذا التميز بأربعة أمور، وهي: إيجاز اللفظ, وإصابة المعنى, وحسن التشبيه, وجودة الكناية, فهذه هي نهاية البلاغة(11).

وقد امتثلت العرب إلى الحكمة، ومالت إليها، واستأنست بها، وطبقتها، وحفظتها، وروتها؛ لما تحمله من معان غزيرة، ودلالات عميقة، رصدت أخلاق العصر الجاهلي، وعاداته وتقاليده، ومبادئه، ولم تكن تلك الحكم معقدة، قائمة على أسلوب فلسفي، أو منطقي، احتاج من مصدر الحكمة إلى برهان ودليل؛ إنما صدرت من خلال تجربة، وخبرة، ومشاهدة، ومناظرة، وملاحظة، ولم تكن الحياة الجاهلية معقدة صعبة على الرغم من شظف العيش، وقسوة الحياة، لا سيما في الجزيرة العربية، ولذلك جاءت هذه الحكمة مفسرة للحياة دون فلسفة، ومعبرة عن البيئة دون تعقيد، ما دفع الجاهلي إلى أن يتلقفها، ويتعامل بها، ويستشهد بها حينما تكون حاجة إليها؛ ليدعم الرأي الذي يتبناه، والفكر الذي يدافع عنه، والحياة التي يرتضيها وفق تلك القيم والأخلاق التي يؤمن بها، ولذلك كانت الحكمة "تتصرف في أكثر وجوه الكلام, وتدخل في جُلِّ أساليب القول, أخرجوها في أقواها من الألفاظ؛ ليخف استعمالها, ويسهل تداولها, فهي من أَجَلِّ الكلام وأنبلِه, وأشرفِه وأفضلِه, لقلة ألفاظها, وكثرة معانيها, ويسير مؤنتها, على المتكلم, مع كبير عنايتها, وجسيم عائدتها، ومن عجائبها أنها مع إيجازها تعمل عمل الإطناب, ولها روعة إذا برزت في أثناء الخطاب, والحفظ مُوكَّل بما راع من اللفظ, وندر من المعنى"(12). فالحكمة غرض شعري، أو فن قائم بذاته، على الرغم من أنها لم تكن قائمة في ذاتها في قصيدة، أو نص نثري، إنما تأتي في ثنايا تلك القصائد والنصوص، فالحكمة علم "لا يقدر على التصرف فيه إلا من اجتهد في طلبه, حتى أحكمه, وبالغ في التماسه, حتى أتقنه... ومن لم يُعن بها من الأدباء عناية تُبَلِّغه أقصى غاياتها, وأبعد نهاياتها, كان منقوصَ الأدب, غير تام الآلة فيه, ولا موفور الحظ منه"(13).

وما دمنا نتحدث عن الحكمة لا بدّ من الإشارة إلى قضية مهمة أن الحكمة في النثر من حيث الكم، أكثر بكثير من الشعر؛ لأنها في الشعر لم تكن تقصد لذاتها، بل تأتي عرضاً، وفقا لطبيعة الموضوع الشعري المتناول، وتبعاً لما يتمتع به الشاعر من تجربة وخبرة، ولا شك أن ما ورد في الشعر الجاهلي مثلاً من الحكمة، ظل خالداً إلى يومنا هذا، إذ يتناقلها الناس، ويحفظونها، ويستشهدون بها، بل يجدونها حلاً لكثير

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

من القضايا المماثلة التي تحتاج إلى دليل، أو برهان، أو توضيح، بينما قد لا يعرفون من قائلها، أو مرسلها، ولا يعلمون أين وردت، وفي أي مناسبة، ولم يقرؤوا القصيدة التي وردت فيها، ولا يعرفون الدوافع والأسباب التي كانت وراء صدورها.

وتجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من الرواة والناس قد تناقلوا الحكم الشعرية أكثر مما تناقلوا الحكم النثرية، بسبب ارتباط العشر بالوزن والقافية، وسهولة الحفظ؛ لما يتخلله من موسيقا وإيقاع، فإن الحكم كمّاً أكثر بكثير من الحكم في الشعر، لا سيما من حيث العدد، فلو قمنا بعمل دراسة إحصائية بسيطة؛ لوجدنا أن أكثم بن صيفي خطيب العرب وحكيمها، في خطبة واحدة، أو وصية واحدة له، يزيد فيها عدد الحكم عن كل الحكم التي وردت في الشعر، ولا غرابة في ذلك، فإننا قد نقرأ قصيدة كاملة، حتى من القصائد الطويلة التي تسمى المعلقات، فإننا لا نكاد نعثر على حكمة واحدة، انظر مثلاً معلقة امرئ القيس، وإذا ما استثنينا ما ورد في قصائد زهير بن أبي سلمى، فالحكمة في الشعر قليلة لا تقارن بالحكمة التي وردت في النثر، ولهذا كان لا بدّ لنا من توضيح هذه القضية ههنا؛ لأهميتها، بقي أن نشير ههنا إلى أن الحكم الشعرية شاعت بين الناس، أكثر من شيوع الحكمة النثرية، بينما عدد الحكم النثرية أكثر بكثير من الحكم الشعرية، ولا وجه للمقارنة في هذا الباب بسبب الكثرة في النثر، وعلى أية حال، فإن الحكمة أينما وردت فهي "أبقى من الشعر, وأشرف من الخطابة, لم يَسْرِ شيء مسيرها, ولا عمَّ عمومها..." (14).

أما رواد الحكمة في العصر الجاهلي فهم كثر، لا سيما الخطباء منهم، ويمكن أن نذكر بعض المشهورين منهم، من أمثال: (قَسّ بن ساعدة الإيادي) خطيب العرب، وحكيمهم الذي روى عن الرسول – صلى الله عليه وسلم –، و(أكثم بن صيفي) حكيم العرب، و(عامر بن الظَّرب) حَكَم العرب، و(هَرِم بن قُطْبَة الفَزاري)، و(لَبِيد بن ربيعة) أحد حكام العرب، و(هانئ بن قبيصة) خطيب بكر، و(زهير بن جَنَاب الكلبي) خطيب كلب وقُضاعة، وربيعة بن جُذار الأسدي) خطيب بني أسد، وغيرهم كثير، لا سيما الكهان، وخطباء اليمن(15).

المبحث الثاني: الاتجاه الإنساني في موضوعات الحكم النثرية في العصر الجاهلي:

إن الحكمة حين ترد في النص النثري، فإنها تخدم غرض الخطبة، أو الوصية، وتحقق غاية الموضوع المتناول، وتوضح فكرته، وتقوي بناءه، وتصل إلى المتلقي بكل يسر وسهولة، لا سيما أنها تسعى إلى الدعوة

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

للفضيلة، وبناء مجتمع تسوده القيم النبيلة، ما يجعلها خالدة على مدى الزمن؛ لأن الأخلاق النبيلة، والفضائل، لا تتغير بتغير الأزمان، ولهذا تبقى الحكمة حيّة في كل المجتمعات، وفي كل العصور، مهما اختلفت الأماكن والأمم، كما أن الحكمة لا تصدر عن أي إنسان، وإن كان هناك مثل يقول: "خذوا الحكمة من أفواه المجانين"، ولعل المقصود بهذا أن الحكمة وإن كانت صادرة عن مجنون، فلا يجوز العزوف عنها، أو رفضها، أو إهمالها؛ لأنها من صادرة عن مجنون، وحديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – يحث على أخذ الحكمة من أي شخص، وفي أي مكان، أو زمان: "الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها"(16)، إذن، فإن الحكمة مهمة، فإذا كانت تؤخذ من المجانين، فما بالنا بالحكمة التي تصدر عن عقل واع، في مرحلة الشعور، من خلال تجربة وخبرة؟ ونحن نتحدث ههنا عن حكم تدعو للفضيلة، وإحقاق الحق، وبناء مجتمع يقوم على الأخلاق النبيلة، إن الحكم في الجاهلية، لا سيما في الفن النثري، لعب دوراً بارزاً في كثير من الموضوعات على مستويات متنوعة؛ لأنها رصد للواقع, وتأمل في الحياة, وتعبير عن طبائع البشر, وتصوير سلوكياتهم، نورد بعض تلك الحكم ههنا؛ لنتبين مدى تطابقها مع ما ذهبنا إليه.

ولم تكن الحكم التي وردت في النثر على اختلاف موضوعاتها في جمل متفرقة هنا وهناك، إلا ما ندر، ولكنها في النثر غالباً ما تأتي متتالية مثل تتابع المطر، سواء أكان ذلك في الخطب، أو الوصايا، لاسيما ما صدر من خطيب العرب (أكثم بن صيفي)، و(عمرو بن كلثوم) صاحب المعلقة، في وصاياه، وسنورد بعض هذه الحكم التي وردت في مناسبات عدة، نذكر منها:

- الزواج: ما ورد في خطبة أبي طالب بن عبد المطلب في زواج الرسول – صلى الله عليه وسلم- بالسيدة خديجة: "إنّ المالَ ظلٌّ زائل، وعارية مسترجعة"(17).
- التعزية: عَزّى أكثَم بن صَيْفيّ عمرو بنَ هِنْد ملكَ العرب على أخيه، فقال له: "أيها الملك، إنّ أهلَ الدار سَفْرٌ لا يَحُلّون عُقَد الرحال إلا في غَيْرِها، وقد أتاك ما ليس بمردود عنك، وارتحل عنك ما ليس براجع إليك، وأقام معك مَن سَيَظْعَن عنك ويَدَعك، واعلم أنّ الدُنيا ثلاثة أيام: فأمس عِظَة وشاهدُ عَدْل، فَجَعَك بِنفْسه، وأبْقَى لك عليه حُكْمَك؛ واليوم غَنيمة وصَدَيق، أتاك ولم تَأته، طالت عليك غَيْبَتُه، وستُسْرِع عنك رِحْلته؛ وغَد لا تَدري من أهلُه، وسيأتيك إنْ

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

وَجَدك. فما أحسَن الشُّكر للمُنْعم، والتسليمَ للقادر! وقد مَضت لنا أصولٌ نحن فُروعها، فما بَقَاء الفُروع بعد أصُولها! واعلم أنّ أعظم من المصيبة سوءُ الخَلف منها، وخيرٌ من الخير مُعْطيه، وشرٌ من الشرّ فاعله(18).

- الوعظ والإرشاد: من وصية لعمرو بن كلثوم التَّغْلَبي لأبنائه جاء فيها: ...إني والله ما عيرت رجلًا قط أمرًا إلا عير بي مثله، إن حقًّا فحقًّا، وإن باطلًا فباطلًا، ومن سَبّ سُبّ، فكفوا عن الشتم، فإنه أسلم لأعراضكم، وصلوا أرحامكم، تعمر داركم، وأكرموا جاركم يحسن ثناؤكم... ولا خير فيمن لا يغار لغيره. كما يغار لنفسه... رب رجل خير من ألف، وود خير من خلف... إن مع الإكثار يكون الأهذار، وموت عاجل خير من ضنى آجل، وما بكيت من زمان إلا دهاني بعده زمان، وربما شجاني من لم يكن أمره عناني، وما عجبت من أحدوثة إلا رأيت بعده أعجوبة، وخير الموت تحت ظلال السيوف، ولا خير فيمن لا روية له عند الغضب، ولا فيمن إذا عوتب لم يعتب، إن الحكيم سليم، وأن السيف كليم"(19).
- مواعظ عامة: من وصية لأكثم بن صيفي كتب بها إلى طيئ: "لن يهلك امرؤ عرف قدره. والعدم عدم العقل، لا عدم المال، ولرجل خير من ألف رجل، ومن عتب على الدهر طالت معتبته. ومن رضي بالقسم طابت معيشته، وآفة الرأي الهوى، والعادة أملك، والحاجة مع المحبة خير من الغض مع الغنى، والدنيا دول؛ فما كان لك أتاك على ضعفك، وما كان عليك لم تدفعه بقوتك، والحسد داء ليس له دواء، والشماتة تعقب، ومن ير يومًا ير به، قبل الرماء تملأ الكنائن، الندامة مع السفاهة، دعامة العقل الحلم. خير الأمور مغبةً الصبر، بقاء المودة عدل التعاهد، من يزر غبًا يزدد حبًّا، التغرير مفتاح البؤس، من التواني والعجز نتجت الهلكة، لكل شيء ضراوة. فضر لسانك بالخير، عي الصمت أحسن من عي المنطق، الحزم حفظ ما كلفت وترك ما كنيت، كثير النصح يهجم على كثير الظنة، من ألحف في المسألة ثقل، من سأل فوق قدره استحق الحرمان، الرفق يمن، والخرق شؤم، خير السخاء ما وافق الحاجة، خير العفو ما كان بعد القدرة"(20).

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

- الوعظ والإرشاد الاجتماعي: من وصية أُمَامة بنت الحارث لابنتها أم إياس في ليلة زفافها: "أي بنية: "...النساء للرجال خلقن، ولهن خلق الرجال، كوني له أمة يكن لك عبدًا وشيكًا... الكحل أحسن الحسن، والماء أطيب الطيب المفقود، وتنغيص النوم مغضبة... فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير"(21).
- حث على القتال والتضحية والفداء: قال هانئُ بنُ قَبِيْصَةَ الشَّيْبَانِيُّ يُحَرِّضُ قَوْمَهَ يوم ذي قار: يا معشرَ بَكْرٍ، هَالِكٌ مَعْذُورٌ خيرٌ مِن نَاجٍ فَرُورٍ. إنَّ الحَذَرَ لا يُنْجِي مِن القَدَرِ، وَإنَّ الصَّبرَ مِن أسبابِ الظَفَرِ. المنِيَّةُ ولا الدَّنِيَّةُ، استقبالُ الموتِ خيرٌ مِن استدبارِهِ، الطَّعْنُ في ثُغَرِ النُّحورِ أَكْرَمُ مِنه في الأعجازِ والظهورِ. يا آلَ بكرٍ، قاتِلُوا فما للمنايا مِن بُدٍّ"(22).
- جملة من الحكم المتنوعة في موضوعات متنوعة: "رب عجلة تهب رثيا"، و"رب ريث يُعقب فوتًا"، "رب أخ لم تلده أمك"، و"رب فرحة تعود ترحة"، و"رب ملوم لا ذنب له"، و"أول الحزم المشورة"، و"من طلب شيئاً وجده"، و"من مأمنه يؤتى الحذر"، و"رضا الناس غاية لا تدرك"، و"كلم اللسان أنكأ من كلم السنان"، وفي روية: "الحسام"، و"من سلك الجدد أمن العثار"، و"نفاذ الرأي الصائب في الحرب أنفذ من الطعن والضرب"(23).

فهذه باقة من الحكم المتنوعة كانت تأتي وراء بعضها بعضاً، في خطبة واحدة، أو وصية واحدة، أو أنها كانت تأتي شوارد في مناسبات عدة، وكلها كما نلاحظ تترفع في معانيها، ولا تسف في لفظها، وتدعو الفرد إلى أن يحترم نفسه، وينخرط في مجتمعه، ويعمل من أجل إسعاده، ثم تدعو إلى بناء مجتمع يقوم على المحبة والوئام والاحترام، ثم تحثّ على إقامة علاقات طيبة مع الإنسان كإنسان، ثم مع المجتمعات الأخرى، وهذا يدعو إلى إقامة حسن جوار مع الدول المجاورة، والأمم المختلفة، لأن العرب كانوا يؤمنون بتلك القيم التي تبني مجتمعات راقية سليمة، إذا ما تمسكت بتلك القيم النبيلة، والعادات السليمة، والتقاليد الحسنة، لذلك أصدروا هذه الحكم من منطلق الحرص على إشاعة الأخلاق الحميدة التي لا بدّ لكل فرد أن يتمسك بها، حتى يسود بأمن وأمان، وسلم وسلام، ولهذا فإن توجيه الحكمة من الحكماء إلى المتلقين ضرورة، إذ لا يتمتع بها إلا من ملك قدرة، ومهارة، وخبرة، وتجربة، وعقلاً واعياً، وشعوراً

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

يقظاً، ثم يمده الله بنعمة الحكمة، وهذا واضح في قول الله تعالى: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا}(24).

إن الحكمة هي سبيل قوي للإقناع، وإقامة الحجة، لأنها برهان ودليل، لا يحتاج إلى نقاش، أو إغفال، وعلى الإنسان أن يؤمن به، لما يحمله من أهداف سامية وغايات نبيلة، فما دام الأمر كذلك، إذن، فالحكمة لا بدّ من أن تشيع في المجتمعات عبر العصور وفي كل الأزمان؛ لأنها تصلح لكل زمان ومكان، وهي ليست كلاماً إنشائياً، يعتمد العاطفة سبيلاً، للتأثير، إنما الحكمة تعتمد العقل والوجدان والعاطفة والشعور في آن واحد، لأنها هي خلاصة تجارب وخبرات، تسعى لتقويم الفرد، ووضعه على جادة الصواب، من أجل؛ ليحافظ على مجتمع ينبذ الرذائل...

وكما رأينا فإن الحكمة تصدر من العقول الواعية المستنيرة، وهي هبة من الله، ومنحة، ونعمة، ذلك أن الله يؤتي الحكمة لمن يشاء، ومن أتته أتاه خير كثير، كما ورد في نص الآية آنفة الذكر، من ذلك أنه يتميز بالصلاح والفلاح، ونفاذ البصيرة، ونقاء السريرة، وطهارة القلب، وحب الخير، ورجاحة العقل، وصواب الرأي، وسداد العمل، ومنزلة عالية في المجتمع، لأنه يهدف إلى الحيلولة دون وقوع الفرد والمجتمع في الخطايا التي تكون سبباً في تدميره، وفنائه.

ومن الجدير بالذكر أن الحكمة تمثل اتجاهاً إنسانياً لا ذاتياً، ونزعة إنسانية لا فردية، بدليل أن الحكمة تصلح لك مجتمع، في كل زمان ومكان، دون حاجة إلى معرفة مرسلها، ولا العصر الذي قيلت فيها، وهذا دليل على أهميتها، وفائدتها، وتحقيق هدفها المنشود، وغايتها المأمولة.

قبل أن ننهي الحديث في هذا الباب، فلا بد من أن نذكر ثلاث قضايا مهمة:

1) إن هدف الحِكَم كما ذكرنا هو توجيه النفس الإنسانية إلى الكمال والفضيلة، والبعد عن الرذيلة، إذن الحكمة إنسانية، قبل كل شيء، أي: إنها تصلح لكل إنسان، في كل زمان ومكان، وليس إلى فئة معينة، أو أمة بعينها.
2) إن تسليط الضوء على الاتجاه الإنساني في الحكم، هو تأكيد على إنسانيتها، وفضيلتها، ومحمدتها، وشيمتها... لندلل على أن النثر الجاهلي لم يكن سائراً على عواهنه، بل كان يصدر

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

عن عقل واع، يدعو إلى بناء مجتمع صالح، يسير بخطوات ثابتة، يؤمن بقيم وعادات وتقاليد ومفاهيم تقوده – من خلال جادة الصواب – إلى تحقيق الهدف المنشود.

3) يؤمن الباحثان أن الحكمة تمثل فناً ملتزماً، لا ملزماً، إذ حمل خطباء العرب على عاتقهم التزاماً تجاه مجتمعهم، بل الإنسانية كلها؛ لتوجيهها توجيهاً سليماً مستفيدين من تجربتهم وخبرتهم التي اكتسبوها من خلال المشاهدة والملاحظة والتدقيق، وهذا يدلّ على المثل العليا التي مثلوها، وآمنوا بها، ونادوا بها أيضاً، ورأوا أنهم ملتزمون تجاه كل الأمم في أي مكان، وأي زمان؛ لتوجيههم توجيهاً سليماً، حتى يتسلحوا بالآمال التي ترفع من معنوياتهم، ويتمسكوا بالآمال التي تطلعوا إليها، ويرشدوا مجتمعاتهم لتلك المثل النبيلة التي طالما حلموا إلى تحقيقها..

المبحث الثالث: الخصائص الفنية للحكم النثرية في العصر الجاهلي:

أشرنا آنفاً في هذا البحث إلى أن الحكمة لم تكن مستقلة بذاتها، في خطبة، أو وصية، إنما ترد في العادة في ثناياها؛ لتكون وسيلة إقناع وحجة؛ لما تتميز به من خصائص وسمات، لا سيما السيطرة على الألباب، والتأثير القوي في العواطف، ولما تبعثه في النفس من تأثير قوي، يدفع المتلقي إلى العمل بما تدعو إليه الحكمة، فإذا كان الخطيب يتأنق في اللباس، ويتفنن في اختيار الكلمات، ويتألق في الإلقاء؛ ليجذب الناس إليه، يسيطر عليهم؛ لمتابعته، واستيعاب ما يقوله، وفهم ما يدعو إليه وتطبيقه، فإنه حريص كل الحرص أن يكون أكثر اهتماماً بالحكمة وصياغتها، وقصرها، وقوتها، ومتانتها؛ لأنها تصدر عن عقل واع، في مرحلة الشعور، والوعي القائم على إعمال الفكر، وكد القريحة، والنفاذ إلى جوهر الأشياء من خلال تجربة عميقة، وخبرة طويلة.

والحكمة فن من فنون القول، تتميز بمجموعة من الخصائص التي تميزها من غيرها، سواء أكانت في خطبة واحدة، أو في وصية واحدة، أو أطلقت في عبارة هنا وهناك، ومن أهم ما تمتاز به الحكمة:

1) إيجاز اللفظ. 2) إصابة المعنى.

3) حسن التشبيه. 4) جودة الكناية.

فهذه هي نهاية البلاغة(25).

وحري بنا أن ندون مجموعة من السمات التي لاحت على هذه الحكم، من خلال عرضنا لها، نذكر منها:

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

1) ابتعادها عن الغريب وحوشي اللفظ، وتميزها بالسهولة والبساطة.
2) أسلوبها سهل ممتنع؛ لأنها يتوجه إلى الناس كل الناس، ويصلح في كل زمان ومكان.
3) اعتمادها أسلوب الإقناع المتمثل بمخاطبة العقل والعاطفة معاً، ثم إقامة الحجة، والبرهان في بعض الأحيان حين يتطلب الأمر ذلك، لا سيما أن الحكمة تدعو إلى بناء مجتمع يقوم على الفضيلة ونبذ الرذيلة.
4) الإيجاز الشديد في اللفظ، والابتعاد عن التطويل، أو الإطالة؛ ليكون الإيجاز أشد تأثيراً، وأسرع فهماً؛ لا سيما أننا نعد الحكمة "أدباً مركزاً"، أو "أدباً مكثفاً".
5) عدم التكلف بالبحث عن التعقيد، والتصنيع، من أجل رسم صورة، أو الإتيان بتشبيه أو استعارة أو ما شابه، إلا ما جاء عفوياً احتاجته الحكمة؛ لتقريب المعنى؛ وليكون أكثر تأثيراً في النفوس.
6) محاولة ربط الحكم بالموضوع المتناول ذات الصلة، على الرغم من أنها قد تأتي متتالية منهمرة، لكنها تخدم موضوعها، وتؤدي وظيفتها، بكل يسر وسهولة، يُقِرّها المتلقي، ويعمل بها، ويطبقها، وينفذ ما جاء فيها.

ولما كانت الحكمة غاية البلاغة، لا بدّ من أنها استندت إلى بعض القضايا البلاغية التي يمكن أن نبين بعضها ههنا:

1) حسن التقسيم، أو التوازن في الجمل يسهل الحفظ، ويعطي شيئاً من الإيقاع، والنغم الموسيقي؛ لأنه يعتمد التقسيم سبيلاً؛ لإظهار الزينة، والجمال، ومثاله: (من الناس من لا يرجى خيره، ولا يخاف شره، فبُكْؤُه خير من درّه، وعقوقه خير من بره)، (ربّ رجل خير من ألف، ورد خير من خُلف)، و(إن مع الإكثارِ تكون الأهذار)، و(خيرٌ من الخير معطيه، وشر من الشر فاعله).
7) السجع: وهو في النثر كالقافية في الشعر، لا سيما حين تكون الجمل متتالية، فإنها تولد نغمة، وجرساً موسيقياً، يعين على الحفظ، ويقرب المعنى، ويعطي جمالية في اللفظ رسما ونطقاً، ومثاله: و(ربّ رجل خير من ألف، ورد خير من خُلف)، و(إن مع الإكثارِ تكون الأهذار)، و(من

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الناس من لا يرجى خيره، ولا يخاف شره، فبُكْؤُه خير من درّهِ، وعقوقه خير من بره)، و(من يزر غبًا يزدد حبًّا)، و(الحسد داء ليس له دواء)،

8) الجناس: تشابه اللفظان، واتفاقهما في النطق، واختلافهما في المعنى، ومثاله: (المِنِيَّةُ ولا الدَّنِيَّةُ)، (أَلف... خلف)، و(إن مع الإكثارِ تكون الأهذار)، و(من يزر غبًا يزدد حبًّا)، وهو من الأنواع البديعة التي تضفي جمالًا على المعنى، وتقويه، ثم تضيف مسحة موسيقية أخاذة على اللفظتين المتفقتين في اللفظ، والمختلفتين في المعنى، ثم تثير انتباه المتلقي؛ ليشحذ الذهن، ويكد القريحة، ويمعن في التركيز؛ ليكتشف المعاني المقصودة من هذا الجناس.

9) الطباق: وهو أن يتم الجمع بين الضدين، ومثاله: (استقبالُ الموتِ خيرٌ مِن استدبارِهِ)، و(الحسد داء ليس له دواء)، و(عي الصمت أحسن من عي المنطق)، وفيه نوع من الإثارة، واليقظة الدائمة، والحركة؛ كمن يجمع بين (القط)، و(الفأر)، وكذلك اللغة، تأخذ هذا الدور في النشاط والحيوية، إلى جانب أن الطباق نوع من الزينة يتم به تجميل العبارة، كمن بين اللونين المختلفين: الأبيض والأسود، في توافق وتناسق وجمال.

10) المقابلة: وهو أن يؤتى بمعنيين، أو أكثر ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب، ومثالها: (هَالِكٌ مَعْذُورٌ خيرٌ مِن نَاجٍ فَرُورٍ)، (الطَّعْنُ في ثُغَرِ النُّحورِ أَكْرَمُ مِنه في الأعجازِ والظهورِ)، و(خيرٌ من الخير معطيه، وشر من الشر فاعله)، و(الحاجة مع المحبة خير من الغض مع الغنى)، و(الرفق يمن، والخرق شؤم)، و(كوني له أمة، يكن لك عبداً)، وتتميز المقابلة بشد الانتباه إلى الفكرة، وإثارة الفكر، للتمعن في المعاني، لترسيخها في النفس.

11) التشبيه: نجد التشبيه البليغ الذي حذفت أداته، ووجه الشبه منه؛ ليكون المشبه هو المشبه به نفسه، لتقويته، ومثاله: (المالُ ظلّ زائل)، و(المال عاريةٌ مسترجعة)، و(كوني له أمة، يكن لك عبداً)، و(الرفق يمن، والخرق شؤم)، ويأتي التشبيه البليغ، للتأكيد، والتقريب، وإزالة اللبس، والإبانة والتوضيح.

12) الاستعارة المكنية: وهي أن يتم حذف المشبه به، وذكر المشبه، والإتيان بشيء من لوازم المحذوف، ومثاله: (الطعن أكرم)، و(الحذر لا ينجي)، و(استقبال الموت)، فقد شبه (الطعن)،

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

و(الحذر)، و(الاستقبال) بإنسان، ولكل صورة جمالية، وفائدة، وأهمية، إذ حققت الهدف المطلوب، (نفاذ الرأي الصائب في الحرب أنفذ من الطعن والضرب)، وأتي الاستعارة المكنية بإسبال الصفات الإنسانية وما إلى ذلك على الأشياء الجامدة؛ أو تجسيد المعنوي، أو ما إلى ذلك: لتعطيها قوة في المعنى، إذ تنفذ إلى جوهر الأشياء، وتمنحها بعض الصفات التي لا يمكن أن تتحقق بها غالباً، وبذلك تبعث في هذه الأشياء الحيوية والنشاط والحركة، وقد تضيف الاستعارة اللون أيضاً؛ لتبث الحياة فيها، كتشبيه الطعن بالإنسان الذي تم حذفه، بعد ذكر شيء من لوازمه، وهو الكرم، وبذلك يجعل من الطعن إنسان يتصف بصفة الكرم والسخاء والعطاء والخير، مع أنه لا يمكن أن يكون الطعن، أي: القتل كريماً أو سخياً، لكن المرسل رأي أن تكون صورته هكذا؛ ليشخصها؛ ليقرب المعنى إلى المتلقي الذي يبدي رضاه عن مثل هذه الصور.

1) الاستعارة التمثيلية: وهي من الاستعارات المهمة في البلاغة، إذ يتم التعبير بها عن حال معينة عن طريق آية قرآنية، أو حديث نبوي، أو حكمة سائرة، أو مثل، أو قول مأثور، أو بيت شعر، ذلك أن الحال السابقة هي التي تذكر، والحال الحاضرة هي التي تحذف...(26)، ومثال ذلك، نجرى استعارة واحدة مما أوردناه من حكم، وتجرى كلها بالطريق نفسها التي نبينها ههنا، ففي حكمة: (إن مع الإكثارِ تكون الأهذار)، نقول: شبه حال من يزرع مساحات واسعة، وقد لا يسيطر عليها، ويتلف محصولها)، أو شبه حال من يكثر من الصنائع، ولا يستطيع متابعتها فيخسر، بمن يتكلم كثيراً فيخطئ؛ لأن كثرة الكلام يتولد عنها الأخطاء، وكلما قل الكلام، قل الخطأ، إذ من لم يتكلم لا يخطئ، وقد نسمي هذا النوع من الاستعارة، "الاستعارة المركبة"، لأنها تمثيلية، تختلف عن التصريحية، والمكنية، فالتمثيلية بلا شك تفيد الإيماء، والإشارة، والرمز، وتحفظ مرسلها من المساءلة؛ لأنه يكتفى بذكر الحكمة مثلاً، دون وجود داع لذكر حال المشبه؛ وفي هذا احترام لعقلية المتلقي، اعتماداً عقليته، وفكره وفهمه وذوقه ومهارته؛ ليصل إلى الهدف المنشود من الإتيان بالحكمة، ثم إن الاستعارة التمثيلة تعطيك مساحة من تطبيق الحكمة وغيرها عند استخدامها، أو توظيفها في حال معينة، في أكثر من حال.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

2) الكناية: هو أن يصرح بالكلام، ويراد به معنى آخر غير الذي تم التصريح به، وللكناية أقسام، هي الصفة، والموصوف، والنسبة، ولها وسائط، منها: التلميح والتلويح، والتعريض، ومثاله: (الطَّعْنُ في ثُغَرِ النُّحورِ) كناية عن البسالة والشجاعة والجرأة والقتال وجهاً لوجه دون خوف أو فزع، والطعن (...في الأعجازِ والظهورِ) كناية عن الفرار من أرض المعركة، والتسليم بالهزيمة، ولا شكّ أنّ الكناية لها جمالية تختص به، وتتميز بها من غيرها، أنها تقرب المعاني بصورة واضحة، ثم إنها تعتمد الإيجاز، والتلويح، والتلميح، لا سيما حين لا يريد المرسل أن يصرح بشيء ما، لأي سبب، فيميل إلى تأدية المعنى عن طريق والإيحاء، والإيماء، والرمز.

ونلاحظ فيما أوردنا ملحوظتين:

1) أن الحكمة الواحدة يمكن أن يكون فيها سجع، وطباق، وجناس، وحسن تقسيم، واستعارة، في آن واحد، ولذلك لم نورد أمثلة كثيرة على ذلك، إذ اكتفينا بما أوردنا تاركين ذلك للمتلقي؛ ليجد متعة في القراءة، والتطبيق.

2) أن الحكمة التي أوردناها في هذا الباب وغيره اعتمدت الإيجاز، والتركيز، والتكثيف، والوضوح، والسهولة، والبساطة، فالألفاظ مختارة موحية، تحمل دلالات عميقة، واسعة العبارة، قوية العارضة، وكأننا أمام رائحة القديم وأصالته، بعبق الجديد ونشره؛ لما يتميز به من قرب التناول، واليسر.

ولم نتحدث عن الأساليب الخبرية والإنشائية، والمعاني التي خرجت إليها، ولا عن الحذف، وتقديم الخبر على المبتدأ، ولا المجاز، ولم نتتبع كل ما يتعلق بعلوم البلاغة المعروفة، إنما اكتفينا ببعض أنواعها؛ لتطبيق بعض الأنموذجات عليها؛ لأن المجال لا يتسع إلى كل ذلك، فما أوردنا يغني، ويوضح المطلوب، ويحقق الغاية.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الخاتمة:

تناول هذا البحث مجموعة من القضايا التي تتعلق بالاتجاه الإنساني في الحكم في النثر الجاهلي، إذ وقف على تعريف الحكمة، وبين خصائصها، وسماتها، وذكر روادها في العصر الجاهلي، ثم عرض لموضوعات الاتجاه الإنساني للحكم النثرية في العصر نفسه، كما تحدث عن الخصائص الفنية للحكم النثرية فيه، وقد توصل إلى نتائج كثيرة، نذكر منها:

1) إن "الحكمة "تتصرف في أكثر وجوه الكلام, وتدخل في جُلِّ أساليب القول, أخرجوها في أقواها من الألفاظ؛ ليخف استعمالها, ويسهل تداولها, فهي من أَجَلِّ الكلام وأنبلِه, وأشرفِه وأفضلِه, لقلة ألفاظها, وكثرة معانيها, ويسير مؤنتها, على المتكلم, مع كبير عنايتها, وجسيم عائدتها، ومن عجائبها أنها مع إيجازها تعمل عمل الإطناب, ولها روعة إذا برزت في أثناء الخطاب, والحفظ مُوَكَّل بما راع من اللفظ, وندر من المعنى"(27).
2) تميزت الحكمة بمجموعة من الخصائص، جعلها تتميز من غيرها، كما بيّن البحث.
3) لم تكن الحكمة مقصورة على موضوع دون آخر، بل كانت في موضوعات متنوعة منها الاجتماعي والوعظي والإرشادي والتهنئة والتعزية...
4) الحكمة تجاوزت الذاتية الفردية إلى الإنسانية جمعاء؛ لأنها تدعو إلى الفضيلة، وتَنْهَى عن الرذيلة، وتهدف إلى بناء مجتمع صالح فاضل، كما أنها تَصْلُح لكل زمان ومكان؛ ذلك أن الحكم تصدر عن عقل واع، يؤمن بـ: قيم، وعادات، وتقاليد، ومفاهيم تقوده – من خلال جادة الصواب – إلى تحقيق الهدف المنشود.
5) تمثل الحكمة فناً ملتزماً، لا ملزماً، وهذا يدلّ على المثل العليا التي مثَّلتها، وحمَلَتها، ونادت بها أيضاً.
6) كانت الحكمة وسيلة إقناع وحجة، وتأثير في العقول والعواطف، لا سيما أنها تعبر عن فكر الأمة الذي يبين رجاحة العقل، وصواب الرأي.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الهوامش

(1) أحمد بن محمد بن علي(د.ت)، المصباح المنير, تح: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة، (حكم)، وابن منظور علي أبو الفضل (1968)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (حكم).

(2) ابن منظور، لسان العرب (حكم).

(3) المناوي (1972), فيض القدير (شرح الجامع الصغير للسيوطي) دار المعرفة، بيروت، 524/2(رقم 2457و2458). ولسان العرب (حكم).

(4) فيض القدير (شرح الجامع الصغير) 524/2.

(5) الجبوري، يحيى(1983)، الشعر الجاهلي (خصائصه وفنونه), مؤسسة الرسالة, ط4, بيروت. ص 403.

(6) المزهر السيوطي, جلال الدين (1986)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: علي محمد البجاوي وآخرين , المكتبة العصرية, بيروت، 486/1.

(7) انظر مزيداً من التفصيل : (1993)، النثر في العصر الجاهلي، دار الفكر العربي، بيروت. ص161 . 172، ومناع، هاشم صالح (2017)، الأدب العربي الجاهلي، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، ص 387 . 390.

(8) السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها 486/1.

(9) انظر: العسكري، أبو هلال (1988)، جمهرة الأمثال، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وآخر، دار الجيل،ط2، بيروت 3/1.

(10) السابق نفسه 4/1.

(11) الميداني (د.ت)، مجمع الأمثال، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار القلم، بيروت، 6/1.

(12) جمهرة الأمثال 4/1 - 5.

(13) السابق 5/1.

(14) عبد ربه، أحمد(1983)، العقد الفريد، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 3/3.

(15) انظر مزيداً من التفصيل: مناع، هاشم صالح، النثر في العصر الجاهلي، ص49- 55. وانظر أيضاً: الجاحظ، أبو عمرو (1985)، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط5، القاهرة (58/1 و222 و290 و304 و317 و349 و358 و360 و365)، وابن عبد ربه، أحمد، العقد الفريد 111/6-117.

(16) الترمذي، محمد بن عيسى (د.ت)، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت (51/5)، حديث رقم (2687).

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

(17) الباقلاني(1981)، إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط5، القاهرة، ص 153، والقلقشندي(1963)، صبح الأعشى، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة 213/1.

(18) ابن عبد ربه، أحمد، العقد الفريد (260/3).

(19) الأصفهاني، أبو الفرج (1983)، الأغاني، تح: لجنة من الأدباء، الدار التونسية للنشر، تونس)، دار الثقافة، بيروت (53/11-54)، (الأهذار: الهذيان، ولم يعتب: ولم يرض).

(20) الميداني، مجمع الأمثال، (182/2-183)، رقم (3271). (العدم: العدم بالضم وبضمتين وبالتحريك الفقدان وغلب على فقدان المال، والقسم: القدر، والرماء مصدر رام كالمراماة، والكنائن جمع كنانة: وهي جعبة السهام، وهو مثل معناه: تؤخذ للأمر أهبته قبل وقوعه، ومثله قولهم "قبل الرمي يراش السهم" أي يوضع له الريش، والمغبة: العاقبة، والعدل: الاستقامة، أي: بقاء المودة في استقامة التعاهد والحرص على سلامة شروطه).

(21) الميداني، مجمع الأمثال 262/2-263 (رقم: 3759)، وابن عبد ربه، أحمد، العقد الفريد 89/7-90، والعسكري، أبو هلال، جمهرة الأمثال 571/1-572 (رقم: 1074).

(22) القالي، أبو علي (1987)، الأمالي، دار الجيل ودار الآفاق، ط2، بيروت، (169/1).

(23) الميداني، مجمع الأمثال 187/1 و302-306، و319 و476، و482 و507، 319/2، وابن عبد ربه، أحمد، العقد الفريد 89/1، والعسكري، أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال 187/1 و481-482 و476 و493 و507 و257/2 و271، و(الجدد: الأرض المستوية).

(24) (البقرة:269).

(25) الميداني، مجمع الأمثال 6/1 .

(26) ياسين، سفاء مأمون، ومناع، هاشم صالح (2019)، البلاغة العربية الوافية، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص 338.

(27) جمهرة الأمثال 4/1 - 5.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

المصادر والمراجع

1) القرآن الكريم.
2) ابن عبد ربه، أحمد(1983)، العقد الفريد، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت.
3) ابن منظور علي أبو الفضل (1968)، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
4) الأصفهاني، أبو الفرج (1983)، الأغاني، تح: لجنة من الأدباء، (الدار التونسية للنشر، تونس)، دار الثقافة، بيروت.
5) الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب (1981)، إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط5، القاهرة.
6) الترمذي، محمد بن عيسى (د.ت)، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
7) الجاحظ، أبو عمرو (1985)، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط5، القاهرة.
8) الجبوري، يحيى(1983)، الشعر الجاهلي (خصائصه وفنونه), مؤسسة الرسالة, ط4, بيروت.
9) السيوطي, جلال الدين (1986)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: علي محمد البجاوي وآخرين, المكتبة العصرية, بيروت.
10) ضيف، شوقي (1971)، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، ط6، القاهرة.
11) العسكري، أبو هلال (1988)، جمهرة الأمثال، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وآخر، دار الجيل،ط2، بيروت.
12) الفيومي، أحمد بن محمد بن علي(د.ت)، المصباح المنير, تح: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة.
13) القالي، أبو علي (1987)، الأمالي، دار الجيل ودار الآفاق، ط2، بيروت.
14) القلقشندي(1963)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة.
15) قميحة، مفيد محمد (١٩٨١)، الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، دار الافاق الجديدة، بيروت.
16) مناع، هاشم صالح (2017)، الأدب العربي الجاهلي، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن.
17) _____(1993)، النثر في العصر الجاهلي، دار الفكر العربي، بيروت.
18) المناوي (1972), فيض القدير (شرح الجامع الصغير للسيوطي) دار المعرفة، بيروت.
19) الميداني (د.ت)، مجمع الأمثال، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار القلم، بيروت.
20) ياسين، سفاء مأمون، ومناع، هاشم صالح (2019)، البلاغة العربية الوافية، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.